وقائع معركة فكرية بين الفصحى والعامية.. يفجرها ملتقى الشربيني الثقافي

للمرة الأولى .. إطلالة على ما يجري في كواليس عمل محققي التراث

محمد فوزي حمزة : اتحاد الكتاب يتقاض نسبة ضخمة من أسعار الأغلفة بما يهدد استمرار جهود المحققين

مسعود شومان : هناك تراث عظيم للعاميتين العربية والمصرية لم تمتد إليه أيدي المحققين

محمد على عزب : حماة اللغة العربية توهموا خطورة العامية على الفصحى

جانب من ملتقى الشربيني الثقافي

الشاعر مسعود شومان متحدثا خلال الملتقى

على ضفاف الشعر والموسيقى وصوت الفنان الواعد محمد شريف المذهل ، جرت وقائع وأعمال ملتقي الشربيني الثقافي، الذي عقد جلسته الأولى بعد اعتكاف وصوم عن مواصلة فعالياته خلال شهر رمضان المعظم .كانت واحدة من اهم وأنجح فعاليات الملتقى منذ تأسس في أكتوبر الماضي ، بشعاره الشهير : «شمعة تقاوم العتمة « ،حيث دارت وقائع معركة فكرية ساخنة على هامش قضية تحقيق وتدقيق التراث (فصيحه وعاميه). مثل جانب اللغة الفصحي الشاعر والمحقق محمد فوزي حمزة ، فيما مثل جانب اللغة العامية الشاعر والناقد والأثري محمد على عزب .

وفي تقديمه لضيفيه أعرب الكاتب والصحفي محمود الشربيني مؤسس الملتقى عن سعادته بأن يطل أقطاب ورموزالملتقي الكتاب والشعراء والنقاد محمد جاد هزاع و مسعود شومان ومحمد عبد الباسط عيد، وكل رواد الملتقى ، لأول مرة وعن قرب على طرق تحقيق التراث وأدواتها وأساليبها وصعوباتها ، من خلال تجربتي «حمزة» و«عزب». وقال الشربيني انه تعرف على حمزة في شبابه عندما كان يدرس في المرحله الثانويه ، حيث لبي دعوته للمشاركة والكتابة – وحتي التوزيع اليدوي – في مجلة أصدرها بماله الخاص باسم «الرسالة» ، لتصدر من قرية طحانوب...طبعت المجلة بالاستنيسل ، وبذل كلاهما جهدا ضخما لتصل المطبوعه إلي الناس . وذات عدد أستدعي «محمد فوزي إلي جهاز أمن الدولة (بتعبير ذلك الزمان) ليسأل عددا من الأسئلة ، وبلباقته المعهوده أراد ان يصدر العدد الجديد متوازنا ، من دون أن تؤخذ عليه منافقة السادات أو معارضته ، فكتب يقول: «في عهد الرئيس الكريم محمد أنور السادات .....»! وكان اختياره للصفه التي ألصقها باسم الرئيس كاشفا تماما .. فأي كرم عند السادات ، وأي علاقة للصحافة بصفة الكرم !

ثم دعا «الشربيني» الكاتب الصحفي محمد جاد هزاع للحديث عن محمد فوزي حمزه ، فكونهما من قرية واحدة (حمزة من مواليد طحانوب عام 1947) جعله يطل على أفكاره وكتاباته منذ وقت بعيد ، وخاصة على صعيد (التدقيق وتحقيق كتب التراث) فقال وانه تابع مايكتبه ومايبذله من جهد مقدر ومحترم على هذا الصعيد ، وأنه يحتل مكانة مرموقة بين المحققين ، لدأبه الشديد ورصانة كتاباته ودقته الشديدة في العمل ، منوها بانه اكتشف لديه هذه القيمة منذ ان قرأ له كتاباه الأولان وهما : اليهود والقرابين البشرية وعبد الله أبو النبي (وكان الشربيني قد أشار إلي هذا الكتاب في كلمته كأول مطبوع تناول بشمول حياة والد النبي محمد، والذي يسوق من الأدلة والبراهين مايؤكد أن والد النبي – المتوفي قبل البعثه– لم يمت كافرًا، فقد أفرد لذلك فصلا بعنوان «هو في الجنه وإليك الدليل «..وهو ماأثار جدلا واسعًا ولايزال .

تحقيق تراث الفصحي

وتحدث الشاعر والمدقق محمد فوزي حمزة عن أعماله، عبر الحوار الذي جري بينه وبين الكاتب محمود الشربيني خلال الندوة ، فذكر أن اول كتاب قام بتحقيقه تناول حادثة «فطيرة الدم «التي ارتكبها اليهود في مصر، وصدر الكتاب سنة 1980 تقريباً ، بعنوان «اليهود والقرابين البشرية» .ثم انتقل إلي كتب الأدب ، والتي صدرت جميعها عن مكتبة الآداب .

يقول حمزة : بعد ذلك انتقلت لناحية تأليف الشعر ولي ديوان صدر منه جزآن ، أما قائمة الكتب المدققة – وانا افضل إستخدام كلمة التدقيق عن التحقيق رغم أنني أقول بكل عمل المحقق – فهي طويلة و تربو على ال 22 كتابا مابين تحقيق وتدقيق وتأليف وشرح دواوين ، أهمها ما يلي : كتاب سيبويه الكامل في اللغة والأدب، شرح الزوزني للمعلقات، القصائد العشر، شرح القصائد الثلاث، دواوين الشعراء العشرة، ديوان الأصمعيات،ديوان الحماسة، الشوقيات، ديوان حافظ، ديوان البارودي، ومجموع أشعار الصعاليك في العصر الجاهلي.

أضاف: أقوم بكل مايقوم به المحقق ، من تدقيق وتفسير ماألغز وشرح وذكر الروايات الأخرى، والبحث فيها حتي أجد بأثر رجعي ، وهنا أجد «الشاهد» وهذا هو المهم ،وغالبا وبنسبة كبيرة أصل إلي هذا «الشاهد» في الرواية.

وأشار «حمزة» إلي أن أنجح كتبه توزيعا – وليس مالا–هو كتاب المعلقات ، فقد طبع منه 9 طبعات . ذلك أن طلبة الجامعات يحتاجونه في دراساتهم، والحقيقة ان كل كتبي تجد طريقها إلي طلبة الجامعات.. مثل طلاب كليات اللغه العربية ودار العلوم

اتحاد الكتاب .. يعيق الكتاب

ثمة معوق آخر هذه المرة ، وهو العائد المادي الضئيل للمحققين والذي لايتوازي مع جهد عمره سنين ،والأنكي أن إتحاد الكتاب وبكل أسف استخرج من الأدراج قانونا قديما يقضي بأن يحصل الإتحاد على نسبة 5% من سعر الغلاف!هذا لايتيح للمحقق أن يحصل علي شيء لأن ال 5% التي يحصل عليها لا تعتبر شيئا مقابل ما أنفقه من مال في شراء المراجع مثلا، وفضلا عن ذلك أيضا فالاتحاد يخصم نسبته لزاما على إن أحيي مكتبة الآداب لأنهم يدفعون عني نسبة 1% من النسبة التي يفرضها الاتحاد ، وهذا لكونهم أصحاب رسالة، ويضحون تضحية كبري. حاليا يستعد محمد فوزي حمزه لإصدار الطبعة الرابعة من كتاب سيبويه ، والذي استغرق عمله فيه لنحو 10سنوات.وقال لي «كنت شرعت في تحقيق المفضليات ولكني أوقفت العمل فيها لحين الانتهاء من إعادة قراءة سيبويه تمهيدا لإصداره مجددا.

تحقيق تراث العامية

وكان الشاعر والباحث مسعود شومان رئيس تحرير مجلة الثقافة الجديدة قال في كلمة له في مستهل تقديمه للشاعر محمد على عزب : يمثل تحقيق تراث الشعر العامي مشكلة كبيرة في تحقيق التراث بشكل عام ، فإذا كانت الفصحي لها قواعدها ولها اجروميتها فإن العامية تواجه مجموعة من الصعوبات الكبيرة التي تقف حائلا دون الولوج إلي هذا الباب المهم ، وإذا نظرنا إلي قضية التحقيق عن التحقيق بالفصحي او بالعاميه ،فما بالنا بمن يتصدي لتحقيق التراث العامي والشعبي، خاصة مايتعلق بالسير والفنون التي كانوا يطلقون عليها الفنون المعربة أو غير المعربة أوالملحونة التي قال عنها صفي الدين الحلي :حلال الإعراب بها حرام/وصحة اللفظ بها سقام /يزداد حسنها إذا زادت خلاعة/وتضعف صنعتها إذا أودعت من النحو صناعة

من جهته تحدث الشاعر والناقد محمد على عزب عن تجربته في تحقيق تراث الشعر العامي والصعوبات التي تواجه محقق هذا الفن اثناء عمله ، وبحثه بين المصادر القديمة والحديثة ، والالتزام بالمنهج العلمي للمشتغلين بالتحقيق وأشار عزب إلي ان تراث الشعر العامي يعاني من التهميش ، ونوه بأن تركيز محققي وباحثي التراث ينصب على تراث شعر الفصحي ، مما يجعل معرفتنا بتراثنا منقوصة ..بسبب هذه النظرة الانتقائية .

وأشار إلي أن العرب الهجري ابتكروا تعبير و مسمي «الفنون السبع الأدبية» وبينها أنواع مختلفه للعامية ،مايعني انهم إعتبروا أن الشعر العامي جزءا مهما من الإبداع الشعري العربي ، ولم يكن لديهم الهاجس الذي يسيطر على من ينصبون أنفسهم حماة للغة العربية اليوم ، وهذا الهاجس هو خطورة العامية على الفصحي .

نفحات من الشعر

طعمت جلسة الملتقي بالأشعار ، استهلها محمد فوزه حمزة بإلقاء بعض أشعاره ،ثم الشاعر الكبير مسعود شومان ، ثم الشاعرة آمال ناجي التي ألقت قصيدتين الأولي بعنوان عزف الكمان .

كما اقرأ قدح علي رواد الملتقي قصة قصيرة بعنوان لن أبيع لاقت استحسان جميع الحضور .•الفنان والمطرب محمد شريف كان بحق نجما من نجوم الأمسية لكونه قدم فنا أصيلا جميلاً مزج فيه العربي بالغربي .. والإيطالي بالمصري فمزج بين بوتشيللي(Fall on me)ومحمد قنديل تلات سلامات وأطلق على هذا المزج إسم «وبحلم» وقال إن فكرة المزج لم تأت صدفة ،ولكن نتجت عن تكامل وتناسق لمسه وشعر به واكتشف وجوده بين الأغنيتين وكذلك السياق الموسيقي .

بعد 90 عاماً على رحيل صاحب كتاب «النبي»

المغامرة الجبرانية بين التمرد على الواقع وتقويض اللغة السائدة

شوقي بزيع

قلّ أن احتل كاتب من الكتّاب المكانة المرموقة والمتفردة التي احتلها جبران خليل جبران في الوجدان العربي، بل العالمي في الوقت ذاته. وهي مكانة لم يتراجع منسوبها بعد رحيل الكاتب اللبناني عن هذا العالم، كما يحدث لكثير من الكتّاب الذين لا يتغذى بريق أسمائهم من فرادة منجزهم الإبداعي نفسه، بل من الضجيج الزائف للآيديولوجيا أو المكانة الاجتماعية أو الترويج الإعلامي. وإذا كان لتحالف الصدف والحظوظ أن يلعب في بعض الأحيان أدواراً غير قليلة في إعلاء هذا الاسم الأدبي أو طمس مكانة ذاك، لفترات محدودة من الوقت، فإن للزمن قواعده ومعاييره المختلفة التي تعيد الأمور إلى نصابها، ولو بعد حين. ولم يكن لصاحب «النبي» أن يحتفظ بكل ذلك الوهج وتلك الأصداء، لولا اجتراحه الجريء للغة طازجة ومشحونة بالصدق وملفوحة بلهب الشعر.

ومع أننا لا نستطيع التقليل من أهمية الصرخة العاتية التي أطلقها جبران في برية الجهل والخنوع العربيين، ولا من أهمية دعوته الجريئة إلى التحرر السياسي والفكري والاجتماعي، فإن علينا الإقرار بالمقابل بأن مثل هذه الدعوة لم تكن امتيازاً جبرانياً خالصاً، بل كان قد سبقه إليها، رواد نهضويون، منأمثال رفاعة الطهطاوي والكواكبي والأفغاني والشدياق ومارون النقاش وشبلي الشميل واليازجيين والبستانيين، سليمان وبطرس، وكثر غيرهم. لكن ما ميّز صاحب «رمل وزبد» عن سواه، هو انتقاله، كما ورد آنفاً، بلغة الضاد من طور إلى طور، بعد أن تسببت بفقرها المدقع إشاحة الدولة العثمانية المتداعية بوجهها عن كل ما يتصل بإنشاء المدارس والجامعات والصروح التربوية والثقافية، ما أطفأ في متون القصائد والنصوص كل أثر للإبداع، وحوّلها إلى منصات للفراغ والحذلقة واللعب الشكلاني.

يكفي أن يتناول المرء أياً من نصوص جبران اللاحقة، ليتبين له أن ما أضافه جبران إلى العربية، على مستويات الحساسية والمعجم والتخييل المجازي والتركيب النحوي، يحملنا على الاعتقاد بأن لغة أخرى، يانعةً ورشيقة وموصولةً بالشرايين، قد وُلدت على يدي الكاتب اللبناني المهجري. إنها لغة تتوهج في كنف الحياة، لا في كنف التقعر والافتعال والتصحر الروحي. وهي لغة تتفتح في داخلها ضروب الفنون كافة، وبخاصة الموسيقى التي أولاها جبران كل عنايته، والتي خاطبها بالقول: «يا خيالات القلب البشري. يا ثمرة الحزن وزهرة الفرح. يا رائحة متصاعدة من طاقة زهور الشعائر المضمومة. يا صائغة الدموع من العواطف المكنونة. يا موحيةَ الشعراء ومنظمةَ عقود الأوزان».

جبران خليل جبران

على أن المشروع النهضوي الجبراني لم يكن له أن يتحقق من خلال الموهبة وحدها، حتى لو تغذت مخيلته الشاهقة من الجذور الينبوعية الموغلة في قدمها لغابة الأرز، وللمنحدرات السيفية السحيقة لوادي قاديشا، بل من ذلك التكامل الخلاق بين الإقامة والرحيل، بين أمومة الجذور وأنوثة الأمواج ؛ حيث تمكن صاحب «الأرواح المتمردة»، متنقلاً بين بوسطن ونيويورك وباريس وغيرها من المدن، أن يحقق للغة العربية قيامتها الموعودة، وأن يوائم بنجاح بين روحانية الشرق وعقلانية الغرب وكشوفه الثقافية المختلفة. هكذا بدت التجربة الجبرانية، بمثابة دحض تلقائي لمقولة كيبلينغ الشهيرة «الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان»، مؤكدة بذلك على أنه يمكن لشجرة المعرفة الإنسانية أن تعطي أفضل الثمار، في ظل تنوع التربة وتعدد مصادر الغذاء والمناخ والضوء. لقد عرف جبران كيف يصغي بانتباه شديد إلى تحولات عصره وإيقاعاته وأسئلته المؤرقة. فهو لم يتوانَ، في الشطر المشرقي من التأثرات، عن النهل من ينابيع الكتاب المقدس، وخاصة «نشيد الأناشيد» وبعض أسفار العهد القديم، ومن الصيغ الإنجيلية ومناخات القرآن الكريم. كما لم يتوانَ عن التفاعل، في الجانب الغربي، مع رسوم وليم بلايك وأدبه المناهض لبلادة العقل، والقائم على البصيرة وحدوسها الكاشفة، أو مع الهندسة الجمالية والروحية لمنحوتات رودان، أو مع أدب نيتشه ذي النزوع الديونيزي المعتمد على قوة العصب والانبثاق الفطري للرؤى والأشكال، والمنادي بالنزوع الشهواني ومبدأ الإنسان المتفوق. وهو ما بدت تمثلاته واضحة في كثير من مؤلفات جبران، وخاصة في «العواصف» و«الأرواح المتمردة» و«المجنون». ومع ذلك فجبران الكاره للجمود والباحث عن التحول، لم يكن ليستكين في كنف أحد، حتى كنف منجزه الشخصي السابق.

لقد كان جبران في المحصلة الأخيرة أقرب إلى روح الشاعر منه إلى الفيلسوف أو المفكر السياسي والمصلح الاجتماعي. على أن شاعريته العالية، في رأيي، تتبدى عبر نصوصه النثرية المختلفة، أكثر مما تتبدى في قصائده الموزونة التي رغم سلاستها الرشيقة لم تقدم أي إضافة حقيقية إلى شعرية أسلافه أو معاصريه. وهو أمر يمكن تفسيره بأن نثر جبران المفرط في موسيقاه وثرائه التخييلي، لم يترك لشعره المنظوم ما يفعله أو يضيفه إليه. ولا ينأون كثيراً عن الحقيقة أولئك الذين أطلقوا على بعض نصوص جبران النثرية تسمية «الشعر المنثور»، كما فعل جرجي زيدان وميخائيل نعيمة وتوفيق صايغ وآخرون. كما أن بعض الإشراقات الأدبية الجبرانية لم ترهص بقصيدة النثر وحدها، بل أرهصت كذلك بما أُطلق عليه فيما بعد تسمية «النص المفتوح» الذي يصهر الفنون، بقدر ما يصهر الأزمنة كلها، في بوتقة واحدة، كما في قوله مخاطباً الحرية بلسان خليل الكافر: «من منبع النيل إلى مصب الفرات يتصاعد نحوكِ عويل النفوس، متموجاً مع صراخ الهاوية. ومن أطراف الجزيرة إلى جبهة لبنان تمتد إليك الأيدي مرتعشة بنزع الموت. ومن شاطئ الخليج إلى أذيال الصحراء ترتفع نحوك الأعين مغمورة بذوبان الأفئدة. فالتفتي أيتها الحرية وانظرينا»،باختصار نقلاً عن «الشرق الأوسط» الندنية